مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 03، 16/ 06/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

في جينيالوجيا الإستشراق: توظيف إدوارد سعيد للمنهج الجينيالوجي عند نيتشه

In the Genealogy of Orientalism: Edward Said's uses of Nietzsche's Genealogical Methodology

Abdenour Belhaouchet عبدالنور بلهوشات abdenourbelhaouchet@yahoo.com	Philosophy	University - Setif 2

DOI : 10.46315/1714-011-003-002

Received:27/ 01/ 2021 Accepted: 05/ 04/ 2021 Published : 16/ 06/ 2022

ملخص: في دراسته وتحليله للظاهرة الاستشراقية، لجأ المفكر إدوارد سعي(1935-2003) إلى توظيف مناهج معرفية متنوعة أثرت الدراسات حول الاستشراق ومناهجه وأدواته وغاياته وأهدافه. فبالإضافة إلى الآليات النقدية والأدبية التي اكتسحت كتابات إدوارد سعيد وخاصة في أبرز عملين له وهما "الاستشراق" و"الثقافة والامبريالية"، نالت بعض المنهجيات الفلسفية حظها في تحليل وتفكيك الظاهرة الاستشراقية. هذه المقالة تساءل الكيفية التي وظّف بها إدوارد سعيد المنهج الجينيالوجي لدى نيتشه في كتابه "الاستشراق"، وكيف استطاع اسقاطها على بعض المجالات كفقه اللغة والسيميولوجيا وتصنيف القوى؟

كلمات مفتاحية: الاستشراق؛ الجينيالوجيا؛ فقه اللغة؛ السيميولوجيا؛ إرادة القوة؛ الهيمنة والسيطرة.

Abstract

In his study and analyses of Orientalism, Edward W. Said (1936-2003) resorted to using diverse scientific methodologies that have enriched studies on Orientalism and post-colonial theory and their related tools and objectives. In addition to the literary and critical methodologies that featured Edward Said's works, especially 'Orientalism' and 'Culture and Imperialism', he also used some philosophical methods to analyze and deconstruct Orientalism. This article seeks to shed light on Nietzschean's genealogy and how it was projected as a tool on Philology and Semiology and Classification of powers in Said's study of Orientalism?

Keywords: Orientalism; Genealogy; Philology; Semiology ; Will to Power; Hegemony.

*- مقدمة

يعتبر فريديرك نيتشه- Frederick Nietzsche- ((1844-1900) أحد أبرز الفلاسفة الذين أرسوا أسس منهجية فلسفية استهدفت صرح الأنساق التقليدية الثابتة على عدة جهات، منها استهداف الأنساق الفلسفية التي كانت وراء بزوغ فجر الحداثة، وأخرى أتت على البنى الفلسفية والأخلاقية التي تستند إلى أي جهة علىائية تروم تفسير العالم حسب مسار خطي تيولوجي - teological–من أفلاطون إلى كانط وهيجل وغيرهم. فعلى الجبهة الأولى وجّه نيتشه نقده اللاذع للحداثة الغربية من خلال إعادة قراءتها ونقد محاولتها السيطرة على العالم متبنّية المعتقد العقلاني الذي أضحى النهج الذي قام عليه التنوير في القرن الثامن عشر. اتجه نقد نيتشه نحو الفلاسفة

النسقيين، مثل كانط وغيره، بسبب محاولتهم الفصل بين الانسان وما كان يراه الطبيعة القدسية والهائجة والمبدعة، ذلك أن مفهوم سيطرة انسان الحداثة على الموضوع "العالم" أدى به إلى الاستناد المتشدد على قوة العقل الذي كان ينظر إليه التمثل الوحيد لقدرة الانسان. لذا كان نيتشه من الذين دعوا إلى انسان متعدد القدرات، ناقدا بذلك الأسس التي قامت عليها الحداثة.

اتخذت كتابته من الشعر والقصص وأحيانا الرواية والفهارس والحواشي والمذكرات الأسلوب ذو الأبعاد المتعددة في التوصيف والنقد، ما جعله فريدا ومتميّزا عن الكتابة الفلسفية في عصره. هذا الأسلوب الفريد يستجمعه نيتشه على صعيد جهة ثانية في سياق اعلانه العداء لكل فلسفة تريد الرجوع إلى أي جهة علياية ما ورائية في تأويل جميع الممارسات والتمثيلات والمؤسسات الانسانية. هذه الجهة العدائية أرسى لها نيتشه أسس منهجية جديدة حادت عن مثيلاتها في الفلسفات النسقية، وسماها بالجينيالوجيا كما يظهر جليا في كتابه "جينيالوجيا الأخلاق".

(Nietzsche, Friedrich, 2018) (The International Encyclopedia of Philosophy, Nietzsche, Friedrich, www.iep.utm.edu)

في سياق كتابتي لهذا المقال حاولت تناول المنهج الجينيالوجي عند نيتشه وكيف استطاع المفكر إدوارد سعيد توظيفه لوضع دعائم معرفية وفلسفية في قراءة وتفكيك الاستشراق. فما هو المنهج الجينيالوجي عند نيتشه؟ وكيف استطاع إدوارد سعيد توظيف إجراءاته ومجالاته بوصفه فقها للغة ومجالا للسيميولوجيا وتصنيفا للقوى؟ وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة ارتأيت وضع الفرضيات التالية: أ- أراد نيشته من المنهجية الجينيالوجية البحث في المكامن المتعددة، وخاصة الباطنية والنفسية، وراء الممارسات والأفعال الانسانية التي تخفي الميول نحو السيطرة والهيمنة – ومنه ادعاء الحقيقة المطلقة واللغة والخطاب كواجهة للثقافة ب، وقف المفكر إدوارد سعيد على أهم زوايا ومحطات الجينيالوجيا النيتشوية وأسقطها على مستويات عدة ومنها: فقه اللغة، وفقه الدلالة والاشارة، وتصنيف القوى في تحليله وتفكيكه للظاهرة الاستشراقية. ج- تتناغم المنهجية النيتشوية إلى حد كبير مع الاسقاطات التي استنبطها إ.سعيد من الخطاب الاستشراقي والتي تستبطن نزعة إرادة السيطرة والهيمنة.

المنهجية

أردت من خلال هذه المقالة دراسة وتحليل الكيفية التي وظّف بها المفكر إدوارد سعيد المنهج الجينيالوجي لدى نيتشه في تحليله وتفكيكه للظاهرة الاستشراقية. لجأت أولا إلى مقاربة المنهجية النيتشوية بتسليط الضوء على أهم معالم المنهج الجينيالوجي النيتشوي عبر الآليات التفكيكية والنقدية الموجهة للحداثة وخلع الأصول عن الأشياء وخاصة الممارسات والأفعال الانسانية، ومن ثمة قمت بتسليط الضوء على استخدام إدوارد سعيد لمنهجية نيتشه على مستويات ثلاث وهي: فقه اللغة، وعلم الدلالة والاشارة، وتصنيف القوى. ومن أجل القيام بهذه الدراسة استخدمت المنهج التحليلي والوصفي والنقدي المجترح من أسلوب إدوارد سعيد للوقوف على جينيالوجيا الاستشراق الكامن في الخطاب الغربي-الاستشراقي وتمثيلاته للشرق والشرقيين الذي يستبطن نزعة السيطرة والهيمنة. وقد توسلت من أجل القيام بهذه الدراسة بالمصادر والمراجع الناطقة بالإنجليزية خاصة، اعتمادا وتركيزا على اللغة ذاتها التي وظّفها المفكر إ.سعيد في تأسيسه لمدرسة مابعد الكولونيالية.

النتائج

من خلال عرض هذه الدراسة خلصت لهذه النتائج:

أولا، يرفض نيتشه إرجاع الأفعال والممارسات والسلوك الانساني أو المؤسساتي لأي جهة عليائية مهما كانت ويصر على ربطها بالطبيعة الهائجة والثائرة للإنسان التي تملها الرغبات والأحاسيس والدوافع النفسية والأهواء الحسية التي تنزع إلى القوة والسيطرة والهيمنة.

ثانيا، بدى تأثر المفكر والناقد إدوارد سعيد بالمنهج الجينيالوجي النيتشوي واضحا في أهم أعماله وخاصة "الاستشراق" و"الثقافة والامبريالية" حيث قام بإسقاط بنيات الفكر النيتشوي على بعض المجالات، منها: فقه اللغة وعلم الدلالة والاشارة وتصنيف القوى.

ثالثا، أدرك إدوارد سعيد أن الموقف الارتيابي لنيتشه من قيمة المعرفة واللغة والخطاب والكلمات بسبب غموض اللغة والكلمات من جهة ومقاصد ودوافع أصحابها من جهة أخرى يتناغم مع ما يستبطنه الخطاب الاستشراقي من نزعات عدة ومنها مركزية وتضخم الآنا الغربية وإرادة القوة والسيطرة.

رابعا، وجد إدوارد سعيد في أساليب الكناية والمجاز والطباق والتشبيه التي تشربها الفكر النيتشوي في تفكيكه للحداثة اطارا مفاهيميا دقيقا في تفكيكه للقياسات والتشبيهات السيميولوجية التي استخدمها المستشرق ارنست رينان في وصفه للشعوب واللغات والثقافات السامية وخاصة الاسلامية منها، وهي قياسات تعكس تشرذما وتجزء وتناقضا في الوعي الغربي-الاستشراقي.

خامسا، بمقاربته لمعاني إرادة القوة المستلهمة من فلسفة التاريخ لدى نيتشه، خلص إ.سعيد إلى أن التصنيف الغربي-الاستشراقي للقوى على أساس التقدم والانحطاط والدين واللغات والثقافات والجهات وتمايز الأعراق قائم على مبدأ إرادة القوة الرابض وراءه نزعة السيطرة والهيمنة.

العرض

نيتشه والمنهج الجينيالوجي: أوزحزحة المعنى إلى معاني وسلخ الأصول عن الأشياء

لم يرى نيتشه في الكلمة اليونانية Geneأصل أو شجرة الأجناس فحسب، بل رأى إمكان زحزحة معناها إلى معاني أخرى تتناول المجالات غير المادية كأصل الممارسات والأفعال والتمثلات وحتى المؤسسات البشرية، فرفض أن يكون لهذه الأشياء أصلا أو تفسيرا وتأويلا واحدا. ولأن الحياة تتراءى وكأنها كتاب مؤلف أو لوحة رسام ماهر تتماهى فيها أشياء ظاهرة للعين وأخرى خفية ودوافع ونوايا وتأويلات متضاربة وقوى متصارعة ورسائل مشفرة ومتخفية فإن الأفعال والممارسات الانسانية يكتسيها نفس التشفير والتماهي والهيجان والعنف والتنافس، وكأن التجريدي والمعنوي اكتسى مادة أخرجته من المجال الروحاني إلى فضاء مكاني وزماني ضيق، ومن تعالي الميتافيزيقي إلى صيرورة الآني والطارئ والحادث. وهكذا فإن الأخلاق يرفض نيتشه إرجاعها إلى أصل واحد ويصر على ادثارها برداء التغير والصيرورة بتغير الأزمان والعصور، متأثرا في ذلك بالنظرية التطورية والنزعة الطبيعية دون التقيد الحازم بالمسار التطوري. هذه الرؤيا يشترط لها نيتشه كشرط إلزامي إعمال مفاعيل التاريخ الضارب في نهر البشرية والحضارة الجارف، إذ بدون التاريخ تتعطل الألة الجينيالوجية والفلسفة برمتها (Foucault, Michel, 1984) .

فالجينيالوجيا، حسب المنهجية النيتشوية التي تبدت في كثير من أعماله ومنها "جينيالوجيا الأخلاق" وغيرها تروم إلى خدمة مقصد نقدي دقيق، وكشف اللثام عن الطارئ والحادث وعن جميع الأصول "الخزيّة" من أفكار عزيزة وممارسات راسخة. وهي حسب توصيف ميشيل فوكو " وثائقي رمادي تم إحكامه بدقة وصبر، وتعمل على فضاء

من الصفيح المتشابك والمشوش، كتب على مستندات تمت كتابتها وإعادة نسخها مرات عديدة." (Foucault, Michel, 1984, p. 76)

تلقّف المفكر إدوارد سعيد منهجية نيتشه الجينيالوجية باهتمام كبير فاستخدمها في حفرياته التاريخية والانثروبولوجية والنفسانية في دراسة وتحليل الظاهرة الاستشراقية، وكشف اللثام عن الآنا (الغربية) المضخّمة والعازلة لذاتها عن ما صنفته بالآخر أو اكتشفت من خلال المرآة التي تورطت في تكسيرها، فأبانت عن صورة هجينة ومشوهة وغريبة وشاذة لذاتها حيث تمثلت في ذلك الشرق "البعيد والدنيء والمنحط"، ووظّف إ.سعيد المنهجية الجينيالوجية على مجالات متعددة وسأقتصر على إلقاء الضوء في هذه المقالة على تطبيقاتها على مجالات فقه اللغة والسيميولوجيا وتصنيف القوى.

أولا، الجينيالوجيا كفقه للغة

الارتياب من وجود حقيقة واحدة مطلقة أسفر عن شك نيتشه في قيمة المعرفة والعلوم كما توضحه المنهجية الجينيالوجية. واكتشف إدوارد سعيد، متأثرا بالمنهجية النيتشوية، أن المثلمة الكبرى في الاستشراق تكمن في أنه تمثيل وخطاب يستند إلى طبيعة اللغة المخادعة، حسب التعبير النيتشوي، مؤكدا أن هذه المثلمة تتمثل في رغبة المستشرق في فهم الشرق من خلال الكتابة عنه. ففي أحد أعماله، يغوص نيتشه في الاشكالية البنيوية والوظيفية للغة مكتشفا أن الكلمات حسبه لا يوثق فيها، "فالفرق بين الحقيقة والكذب أضحى لأول مرة واضحا: فالكاذب يلجأ لتحديدات وإشارات (كلمات) مشروعة لتبدو حقيقة لكنها ليست كذلك."(Nietzsche, Friedrich, 1873, p. 81) عدم وثوق إدوارد سعيد في الأدبيات الاستشراقية وبقدرتها على بناء مقولات واقعية عبر اللغة يتناغم مع فضاء التحليل النيتشوي لأن الأخير يعتبر أن جميع الأنظمة الكلامية والخطابية تفضي إلى الشك والريب، وأن الكلمات تعتبر نظام اتصال غير دقيق فهي بالتالي وسيلة للخداع. هذا الخداع يحدث لأن طبيعة اللغة تمثّل الممثل بطريقة غير مكتملة ودقيقة، كما أن الكلمات تضفي سلطة لتمثيلات وهمية وبذلك تجعل من اللاحقيقة حقيقة، ويختفي وراء التلاعب والخداع باللغة إرادة القوة والسيطرة، لذا يرتكز إ.سعيد في هذا السياق على عبارة نيتشه الشهيرة التي تعتبر أن اللغة والقوة والحقيقة ترتبط ببعضها، فاللغة "جيش متنقل من الاستعارات والكنايات والمجازات، والتشكيلات البشرية – فهي باختصار عبارة عن مجموعة من العلاقات الإنسانية التي تم نقلها وتغييرها وتزيينها بالشاعرية والبلاغة، والتي تبدو بعد استخدامها لفترة طويلة قوية وقانونية وإلزامية للناس، إذ الحقائق هي أوهام وينسى المرء أنها كذلك."(Said, E, 1994, p. 131)

لذا فإن علم اشتقاقات الألفاظ وعلم تاريخ اللغة وفقا للمنهجية النيتشوية علماه أن ينظر إلى جميع المفاهيم في صيرورتها، وأن يبصر أن بعضها في طريق التكوّن، فمهّمة الفيلولوجيا تتحدد باعتبارها فكا للرموز وكشفا عن القوى الكامنة خلف نوازع المعرفة. ومن هنا جاء النظر إلى الثقافة بعامة والمعرفة بخاصة باعتبارهما لغة، وأن جميع الظواهر ليست سوى رموز لا تعبّر بل هي تدل وتعني، فهذه الفيلولوجيا الفاعلة تسعى إلى اكتشاف القوى الرابضة خلف قيم المعرفة. (بلعقروز، 2013)

يهتم فقه اللغة كعلم بتفسير النشاطات الفعلية التي تتحكم في الظاهرة الثقافية، فنجد بالتالي أن لديه تجاوزا للمعنى الذي تقوله الكلمات، وحصر الاهتمام بمن يمتلك سلطة الكلام، وبالقوى التي تتصارع في اللّغة ومن

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

خلالها، أي القوى التي تمتلك سلطة التأويل. وينتج من هذا نشوء مشروع يضع اللغة على مشرحة النقد والتقييم، ويطرح أسئلة لها وقع جديد على الأسماع: من يستخدم الكلمة؟ على من يجري تطبيقها؟ ماذا ينوي من وراء ذلك؟ ماذا يريد ذلك الذي يقول تلك الكلمة؟ لذلك يقرر نيتشه أن "أصل اللغة نفسه بمثابة فعل سلطة يصدر عن الحاكمين، يقولون هذا الشيء (هو كذا وكذا)، يربطون الشيء أو الحدث بكلمة فيتملكونها." (بلعقروز، 2013)

توظيف فقه اللغة كرموز وإشارات سيطبقه إدوارد سعيد في قراءته لسيميولوجيا الجسد لدى أرنست رينان، متكأ أيضا على الأساس الجينيالوجي النيتشوي.

ثانيا، الجينيالوجيا وسيميولوجيا الجسد لدى إرنست رينان- Ernest Renan- (1823-1892)

إن قراءة وترجمة الاشارات، حسب نيتشه، تنطوي على توفر إطار مفاهيمي يجعل الترجمة ممكنة، هذا الاطار المفاهيمي يعد فيزيولوجيا، بمعنى أن أي إشارة ترمز إلى تعبير عن الصحة أو المرض. ويظهر تبني هذا الاطار المفاهيمي أن هذه الاشارات في الغالب تستعمل كلثام يخفي حالة فيزيولوجية معاكسة. فمسميات الأخلاق، حسب نيتشه، لا تعني شيئا، بل هي، كما هو حال السيميولوجيا، ذات قيمة لا تقدر فهي تظهر للإنسان المتعلم على الأقل وقائع ثمينة للثقافات والعوالم الباطنة التي لا تعرف بمقدار كافي "فهم" أنفسها، ف"الاخلاق هي لغة إشارات وعروض فقط، وعلى المرء أن يعرف كنهها ليجترح منها أي مصلحة أو فائدة."(Nietzsche, 1889/1895, p. 65)

فالمعطى القيمي من بعض التوصيفات "البراقة" مثل: "التقدم" و"المساواة في الحقوق" و"المجتمع الحر" وغيرها يغدو تعبيرا عن قيّم اجتماعية في عملية قلب للمنظومة الفكرية والقيمية، حيث يتم إعلاء قيمة هذه التوصيفات كإشارات وظيفتها تعكس ارتكاسا في الحالة الفيزيولوجية المجتمعية. "فالذي نجده فيها (التوصيفات) تعبير أو غطاء يخفي ضعفا وتقدما في العمر وتعبا وفقدانا للطاقة." (Nietzsche, Friedrich, 1882, p. 315)

إذن، المجتمع المريض، حسب نيتشه، يقدس بعض الأسماء كتغطية لحالته "المرضية"، والذي يحتاجه هذا المجتمع بالنسبة لنيتشه هو من يزيح اللثام عن هذه "الأسماء العظيمة" وإظهارها كما هي، بأنها ليست "عظيمة" وليست "جميلة" بل مؤشرات عن مرض الانسان. هذه الأسماء في غاية الأهمية بالنسبة لنيتشه لأنها تعد مفاتيح تجعل قراءة وترجمة السياق الذي انتجت فيه ممكنا، إذ هناك علاقة ترابطية بين الجسم والأسماء المستخدمة كرموز دالة على الحالة الجسدية، هذه العلاقة تستبطن أيضا نوايا السيطرة والهيمنة لدى القوى المستخدمة لها. (Nietzsche, Friedrich, 1882)

يجد القارئ في هذا السياق بعض الاستخدامات الجينيالوجية التي لجأ إليها المفكر إ. سعيد في تفكيكه لإيحاءات السيميولوجيا الجسدية التي استوعبها فكر المستشرق إرنست رينان الذي تأثر واقتنع بأطروحات شارلز داروين. وعدّد إ.سعيد التحديدات التي ذكرها إرنست رينان في تعريفه لفقه اللغة -philology- ومنها أنها "تخصص مقارن لا يمتلكه إلا العصرانيون أو الحداثيون، وهي رمز الحداثة والعلو والتفوق (الاوروبي)، فكل تقدم أحرزته الانسانية منذ القرن الخامس عشر يرجع إلى العقول التي يمكن تسميتها بالفيلولوجية." (Said, E, 1994) ويشير إرنست رينان إلى المقصد المتوخى من فقه اللغة، "فما هي الفيلولوجيا إن لم تكن علما لجميع البشرية، علم يرتكز على وحدة الجنس البشري واستحقاق جميع تفاصيل وشؤون الانسان بكل اهتمام." (Said, E, 1994) لكن ما هي هذه الفيلولوجيا، من جانب آخر، بالنسبة لإرنست رينان، كما يغوص إ.سعيد في أعماق كتابات هذا المستشرق، إن لم

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

تكن أحكاما مسبقة ومتحيّزة تنزع إلى تحيّز عرقي ضد الشعوب الشرقية، وهي النافذة التي جعلت لرينان اسما في ميدان تخصصه. فهو المعروف بتقسيمه العنيف للأعراق إلى عليّة ودنيئة، وإسقاط حروف اللغات السامية التي يصفها ب "المعوجة" و"الميتة" على البنية الفيزيولجية لشعوبها مع التركيز على الاسلامية منها، وهي نظرة تنم عن رؤية علبائية ناجمة عن اعتقاد رينان بأنه المتكلم فيلولوجيا وليس حول الفيلولوجيا، والدور الأساس الذي مثّله وهو الذي رأى لنفسه المكانة المحورية في ميدان الفيلولوجيا.(Said, E, 1994)

إذن، السيميولوجيا الجسدية في استعمال إرنست رينان انتجت إشارات من خلال وضع توصيفات للغات السامية التي ميّزتها عن اللغات ذات الأصل الهند-أوروبي ويمتد في فكره إلى تباين الأجناس البشرية. هذا التقسيم للجنس البشري ينطوي على تشظي وتضارب في الوعي بعد أن ادعى توحيد الفليولوجيا لجميع الشعوب ويخفي نزعة القوة والسيطرة والهيمنة في وجهها المادي وهو ما يظهر جليا في المستوى الجينيالوجي الثالث.

ثالثا، الجينيالوجيا كتصنيف للقوى

مثّلت إرادة القوة ركن الزاوية في تحليل نيتشه للواقع، فهي عنده ترجع أساسا إلى طبيعة بشرية ومن خلال إرادة القوة فسّر العالم والحياة. كانت النظرية تخص الجانب النفسي والكوسمولوجي، ثم أسقطها نيتشه على جميع الكيانات entities سواء العضوية أو الفيزيائية أو الانسانية وغيرها. (Salter, William, Mackintire, 1915)

فخلافا لشوبنهاور الذي بنى فلسفته على إرادة الحياة حيث مثلت الدوافع والغرائز النفسية أصل الشرور وبالتالي يجب كبحها والاكتفاء بالأدنى في الحياة، يرفض نيتشه تماما هذه الفلسفة ويستبدلها بإرادة القوة حيث لا مجال لكبح الدوافع والغرائز إذا أراد الانسان تحقيق حياة مكتملة وعليّة. فالحياة لدى نيتشه ليست هبة تمنح مجانا، بل إنها لا توهب إلا لمن يسعى إليها بالكد والعمل والاجتهاد، كما أن المغالبة والصراع هما المبدآن اللذان يحكمانها لأن الغرائز والدوافع النفسية كطبيعة بشرية هما المحفز لهاذين المبدأين. فإرادة القوة، حسب نيتشه، هي التي تدفع النباتات إلى الدفع نحو الأعلى متجاوزة فضاء التربة الذي تتخذه وسيلة فقط للنمو والاكتمال والتعالي، والحيوانات تخضع النباتات من أجل تحقيق اكتمالها وقوتها، والانسان بذكائه يخضع الجميع تحت إرادته للسيطرة والهيمنة.(Salter, William, Mackintire, 1915) .

فالقوة حسب المفهوم النيتشوي تأخذ في كتاباته مفهوم التعالي والتفوق الفعلي بمنحهما معطى داخلي ومنحى عملي لمعنى إرادة القوة، وهو بذلك لا يريد من هذه المعطيات أي شيء ثابت بل يروم مبدأ الصيرورة والتقدم والتغير. هذا المفهوم ينطوي على أنه لا غاية ولا نتيجة من غير التعالي عنها أو ربما تدميرها تماما، فزرادشت ذكر "أن مهما صنعت أو أنشئت ومهما أحببته، فإنني سأعاديه ولو بعد حين."(Friedrich, Nietzsche, (1883-1885), p. 67)

فالقوة أو فلنقل إرادة القوة بالنسبة لينتشه متعطشة بشكل أبدي. واستنادا إلى رؤية نيتشه حول إرادة القوة ومنه مبدأ الصراع بين مختلف القوى تأثرا بالداروينية، استطاع إ.سعيد توظيف هذه المفاهيم في الرجوع إلى الجذور الجينيالوجية للاستشراق حيث يرى أنه ينبغي فهم الاستشراق بأنه نتاج أيديولوجيا المشاريع الكولونيالية، وترتكز مبادئه الدوغمائية على نظرية هربرت سبنسر – Herbert Spencer- (1820-1903) حول الداروينية الاجتماعية بما تفترضه من فكرة النبل (تعالي العرق المتفوق والأعلى) وتصنيف الثقافات والأعراق. إذ أعطى الكتاب الشهير لداروين – Charles Darwin- (1809-1882) المسمى "أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي"

The Origin of Species by Means of Natural Selection، نطاقا كبيرا لهيمنة الانسان الأبيض على الآخر، يقول فيه: " نتمسك بهذه الحقائق (أي نظريته حول البقاء للأفضل) لأنها مثبتة علميا، بأن جميع البشر عبارة عن أعضاء بيولوجية خلقت غير متساوية بالوراثة وأنهم اعطوا منذ العصور جينات عشوائية من خلال الانتخاب مزوّدة بقدرات خاصة وحق التنافس مع الآخرين من أجل الوجود في كفاح من أجل البقاء في عالم محدود المصادر." (Darwin, Charles, 1985, p. 485)

ثم تتبع هربرت سبنسر أثر داروين عندما كتب "المبادئ الأولى لنسق فلسفي جديد" – First Principles of a New System of Philosophy(1862)، فطبّق الأفكار التطورية لداروين على الشعوب وثقافاتهم بعد أن تحدث داروين عن الأعراق "العليّة" و"الدنيئة" والشعوب "القوية" و"الضعيفة"، فأكد سبنسر في كتابه أن " بقاء الأصلح أضفى شرعية للتنافس المعاصر والنظام الاقتصادي، إذ هناك " علاقة مستمرة فيما يخص سلوك البشر والحيوانات الدنيئة وسلوك البشر مع بعضهم البعض، ففكرة التطور المتميّزة التي تحققت تكمن في التغيّر من التجانس – homogeneity- غير المحدود وغير المنسجم، إلى عدم تجانس –heterogeneity- محدود ومنسجم صاحب اندثار وتبدد الحركة واندماج المادة، ويثبت هذا الأمر العلاقة بين الغرب المتحضر والمتنوع والشرق الدنيء تجانسيا." (Herbert, Spencer, 2009, p. 103)

منحت هذه الفكرة (التطورية) شرعية ليس فقط للهيكلية الاقتصادية ولكن أيضا الثقافية، "فبالاحتلال والسيطرة على معظم أرجاء المعمورة، أظهرت أوروبا أنها الأجدر للبقاء كما أبانت إجراءات تصدير المؤسسات الاقتصادية والسياسية والدينية بأنها خطوة ضرورية نحو منظومة متعالية للرتابة البشرية في بقية أرجاء العالم." (Said، 1994) أدت هذه الرؤيا، برأي إ.سعيد، إلى تبلور النظرية العرقية – Race theory – بما تحمله من أفكار حول الأصول والتصنيفات البدائية والانحطاط المعاصر وتقدم الحضارة ومصير العرق الآري أو الانسان الأبيض وضرورة التوسع والتمدد، فجميع هذه العناصر تعد مزيجا غريبا ومركبا في العلوم والسياسة والثقافة والخطاب، وكان من اشتقاقاتها رفع العرق الأوروبي لدرجة السيطرة على غير الأوروبيين. (Said, E, 1994) تحمل هذه الفكرة الامبريالية الدوغمائية نظاما يتجاوز مبدأ "القوة تجلب الحق" إلى القوة بوصفها محددة لماهية الحق، فقضية الامبريالية في مضامينها تستقطب تيبولوجيا (أو الانواع والتصنيفات المزدوجة – binary typology -) الأعراق المتقدمة والمتخلفة وعاداتهم وتقاليدهم ومجتمعاتهم. (Said,E, 1994)وباستناد المشروع الامبريالي على منتوج الخطاب الاستشراقي المبعثر في الدرس الأكاديمي يتساءل إ.سعيد "و إلا كيف كانت الفيلولوجيا واللغويات والتاريخ والبيولوجيا والنظريات السياسية والاقتصادية في خدمة الاستشراق للمشروع الامبريالي الكبير في العالم؟" (Said, E, 1994) وهكذا غطى الاستشراق سياساته تحت وشاح الحياد الأكاديمي، ويأتي الجواب واضحا: أن الاستشراق قوي وتأثيره نافذ ومتغلغل في المجتمع، ويعضد إ.سعيد رؤيته بقوله " يجب النظر إلى الاستشراق كخطاب للقوة." (Said, E, 1994)

لذا يعتبر إ.سعيد أن هناك تحالفا بين المخيال الأدبي والمخططات الامبريالية، فالأهم في التاريخ الأوروبي هو تلك العلاقة بين ما كتبه العلماء الأنثروبولوجيون والمؤرخون وما خطه معاصروهم الشعراء والأدباء والصحفيون حول الشرق. وهناك علاقة مهمة بين ظهور الاستشراق كفرع من فروع المعرفة والاستحواذ على الأراضي في الشرق

كمستعمرات لأوروبا، وبرأي إ.سعيد فإن جميع هؤلاء المختصين بتباين تخصصاتهم كانوا وراء بلورة والحفاظ على الخطاب الاستشراقي وبالتالي فإن جميعهم يعدون بالفعل مستشرقين.(Said, E, 1994)

إذن، يجترح المفكّر إدوارد سعيد جذور الاستشراق بالعودة إلى المنهجية الجينيالوجية على مستوى تصنيف القوى لدى نيتشه ومن هنالك يستنبط مصادرها في نزعة السيطرة والهيمنة التي تقبع وراء إرادة القوة وتغذيها الآنا المضخمة التائقة للمجد وحب العلو والكرامة والشرف.

خاتمة

فهم نيتشه الحياة بأنها إرادة قوة ويتجلى هذا في الاجراءات التي وظّفها على العديد من المستويات ومنها: نقد الحقيقة واللغة والعلم في المنهجية التي أسسها والموسومة بالجينيالوجيا. استطاع إدوارد سعيد توظيف المنهجية الجينيالوجية لدى نيتشه في تحليله وتفكيكه للإستشراق، حيث تقوم هذه المنهجية على مبدأ مفاده أن تشكيل المفاهيم أو التأويلات على ارتباط دائم بممارسة القوة. فمنح الاسماء أو التوصيفات، حسب نيتشه، للموضوعات الخارجية الذي يعد حكرا على الأسياد أو الأقوياء يأخذ بعدا بحيث يسمح لنا تصور أصل اللغة ذاتها كإضفاء طابع خارجي على القوة من طرف الأقوياء والمسيطرين. فالمسيطرون هم المتحكمون في اللغة ويوجهونها نحو المنحى الذي يخدمهم ويحسّن أحوالهم. فعلاقة الأقوياء باللغة علاقة انتاجية للتفسيرات والتأويلات التي تخدمهم، وهو ما وظّفه إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" حيث شدّد على احتكار من بيده القوة والسلطة لحق التفسير وانتاج التأويل عن الآخر بما يخدم مصالحه قصد السيطرة والهيمنة.

من جهة أخرى، في معرض انتقاد إدوارد سعيد للمستشرق إرنست رينان وهو يصف النجاعة والتفوق الأوروبي في مجال الفيلولوجيا كعلم رأى فيه رينان منبع توحيد الجنس البشري ثم ارتأى تقسيم البشرية حسب لغاتها إلى ميتة وحية تنتمي إلى الأسرة الهند-أوروبية والأخرى إلى السامية، هذه الإشارات واسقاطاتها كشف فيها إدوارد سعيد عن تشظي وتناقض في الوعي الذي ركّز على أن يكون مجال دراسة كل ما هو سامي في المخابر ومراكز الأبحاث والمتاحف حيث يزاول عالم الفيلولوجيا والغرب السيطرة والهيمنة. واستطاع المفكر إ.سعيد توظيف الرؤية النيتشوية حول إرادة القوة ومنه مبدأ الصراع تأثرا بالداروينية بالرجوع إلى الجذور الجينيالوجية للاستشراق، حيث يرى أنه ينبغي فهم الاستشراق بأنه نتاج أيديولوجيا المشاريع الكولونيالية، وترتكز مبادئه الدوغمائية على نظرية هربرت سبنسر حول الداروينية الاجتماعية بما تفترضه من فكرة النبل (تعالي العرق المتفوق والأعلى) وتصنيف الثقافات والأعراق.

******

المصادروالمراجع

المصادروالمراجع العربية

عبدالرزاق بلعقروز. (2013). *المعرفة والارتياب: المساءلة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه وامتداداتها في الفكر الفلسفي المعاصر* . بيروت: منتدى المعارف

المصادروالمراجع الأجنبية

Darwin, Charles. (1985). *The Origins of Species by Means of Selection.* London: Penguins Classics.

Foucault, Michel. (1984). *Nietzsche, Genealogy History.* (P. Rabinow, Ed.) New York: Pantheon Books.

Herbert, Spencer. (2009). *First Principles of Philosophy.* Cambridge: Cambridge University Press.

Nietzsche, Friedrich. (1882). *The Gay Science* (339 ed.). (Trans.K. Walter),1967, New York: Random House

Nietzsche, Friedrich (1883-1885). *Thus Spoke Zarathustra.* (Trans.R.J.Hollingdale), 1961, Middlesex: Penguin.

Nietzsche, Friedrich. (1889/1895). *Twilight of the Idols/the Anti-Christ.* (Trans.R.J.Hollingdale), 1990, Middlesex: Penguin.

Nietzsche, Friedrich. (1873). *On Truth and Lies in a non-Moral Sense.* (Trans D. Breazeale), 1990,London: Humanities Press International.

Nietzsche, Friedrich. (2018, Jul 01). *Nietzsche, life, works.* Retrieved 09 15, 2020, from International Encyclopedia of Philosophy

Porter, Dennis. (2013, April 1). Colonial Discourse and Post-Colonial Theory: a Reader. *Plaza: Dialogues in Language and Literature*, p. 143.

Said, E. (1994). *Orientalism.* New York: Vintage Books.

Salter, William, Mackintire. (1915). Nietzsche's Moral Aim and Will to Power. *International Journal of Ethics, 25*(3), 372-403.

المجلات والدوريات العلمية على مو اقع الانترنت

-Nietzsche, Friedrich. (2018, Jul 01). *Nietzsche, life, works.* Retrieved 09 15, 2020, from International Encyclopedia Philosophy: www.iep.utm.edu

-Porter, Dennis (1994),*Orientalism and Its Problems. Colonial Discourse and Post-colonial Theory: a Reader.* New York: Columbia UP, 1994. Print. In Howerton, Eric D. *The Essential Fallacy of Europe: A Study of Edward Said's Nietzschian Language Problems.* www.*Plaza: Dialogues in Language and Literature 4.1* (Fall 2013): 82-96. PDF.

-Salter, W. M. (1915), *Nietzsche's Moral Aim and Will to Power.* International Journal of Ethics, *25*(3), 372-403. Stable URL: https://www.jstor.org/stable/2376825
Accessed: 20-10-2020

Further reading

Edward Said, *Culture and Imperialism*, (Vintage Books London, 1994),

Edward Said, *Power, Politics, And Culture,* (Vintage Books New York, 2001).

Edward W. Said, Covering Islam, Vintage, 1981.

Edward W. Said, The Edward Said's Reader, Published by Vintage, 2000.

Robert Irwin, Dangerous Knowledge: Orientalism and Its Discontents, The Overlook Press, November 2006.

Keith Ansell-Pearson; Benita Parry, Cultural Readings of Imperialism: Edward Said and the Gravity of History, Lawrence & Wishart, 1996.

Zachary Lockman, Contending Visions Of The Middle East: The History and Politics of Orientalism, Cambridge University Press, 2004.

Alexander Lyon McFie, Orientalism: A reader, Nyu Press, 2001.